كلمة الحياة

أيلول/ سبتمبر 2025

"إفرَحوا معي، فَقد وَجَدتُ خَروفيَ الضَّالّ! " (لوقا 15، 6).

اعتاد الرعاةُ في الشرقِ القديم على عَدِّ الخراف عند عودتِهم من المراعي، وعلى الاستعداد للبحث عن أيِّ خروفٍ ضائع. حتّى إنّهم كانوا يواجهونَ الصحراءَ وأخطارَها في الليل من أجل العثور على الخراف الضالّة.

يروي لنا هذا المَثَل قصّةَ فُقدانِ خروفٍ والعثور عليه، قصّةٌ تُسلِّطُ الضوءَ على محبّةِ الراعي. فهو يلاحظُ أنَّ أحدَ خرافِه ضائع، فيبحثُ عنه، ويعثرُ عليه، ويحملُه على كتِفَيه، لأنّه ضعيفٌ وخائف، وربّما مصابٌ بجروح، وغيرُ قادرٍ على اللحاقِ بالراعي بمفردِه. فالراعي هو الذي يعيدُه إلى بَرِّ الأمان، وفي النهاية، وبفرحٍ غامِر، يدعو جيرانَه للاحتفالِ معًا بلُقياه.

"إفرَحوا معي، فَقد وَجَدتُ خَروفيَ الضَّالّ!"

نستطيع تلخيصَ الأفكارِ المتكرِّرة في هذه القصّة في ثلاثة أحداث: الضياع، العثور، الاحتفال.

الضياع. الخبرُ السارّ هو أنّ الربَّ يذهبُ للبحث عمّن أضاعوا طريقهم. فنحن، غالبًا ما نضيعُ في الصحاري المختلفة التي تُلامِسُنا، أو التي نضطرُّ للعيش فيها، أو نَلجأُ إليها: صحاري الإهمال، والتهميش، والفقر، وسوء الفهم، والانقسام. الراعي يبحثُ عنّا هناك أيضًا، وحتّى لو غابَ عن أنظارِنا، فهو سيجدُنا دائمًا.

العثور. لنحاولْ أن نتخيّلَ مشهدَ الراعي وهو يقوم بالبحثِ المُضني في البرّيّة. إنّها صورةٌ مؤثِّرة بقوّتِها التعبيريّة. يمكننا أن نفهمَ مدى الفرح الذي شعرَ به كلٌّ من الراعي والخروف. وهذا اللقاءَ قد أعادَ إلى الخروف الشعورَ بالأمان لأنّه نجا من الخطر. لذا فإنّ "العثور" هو في الحقيقة عملٌ من أعمال الرحمة الإلهيّة.

الاحتفال. يجمعُ الراعي أصدقاءَه للاحتفال، لأنّه يريد مشاركةَ فرحتِه مع الآخرين، كما هو الحال في المَثَلَيْن الآخَرَين اللذَين يَتبعان هذا المثل: مَثَلُ الدِرهمِ المفقود ومَثَلُ الأبِ الرحيم. يريدُ يسوع أن يُفْهِمَنا أهمّيّةَ مشاركةِ فرحِنا مع الجميع، وهو يُحَصِّنُنا كي لا نقعَ في تجرِبةِ الحُكم على الآخر. فنحنُ جميعًا "قد عُثِرَ علينا".

"إفرَحوا معي، فَقد وَجَدتُ خَروفيَ الضَّالّ!"

كلمةُ الحياة هذه هي دعوةٌ إلى الشعورِ بالامتنان لله على الرحمةِ التي يمنحُها لنا جميعًا بشكلٍ شخصيّ. إنَّ فرحَنا وابتهاجَنا معًا يقدّمُ لنا صورةً عن الوحدة، حيث لا يوجَدُ تعارضٌ بين "الأبرار" و"الخطأة"، بل نتشاركُ فرحَ بعضِنا البعض.

كتبَتْ كيارا لوبيك تقول: "إنّها دعوةٌ لأن نفهمَ قلبَ الله، ونؤمنَ بمحبّتِه. نحن معتادون على الحساباتِ والمقاييس، لذا نعتقدُ أحيانًا أنَّ حبَّ الله لنا قد يتعبُ في مرحلةٍ ما [...] إلّا أنَّ منطقَ الله ليس مثلَ منطِقنا. الله ينتظرُنا دائمًا: لا بل نحن نعطيه فرحًا عظيمًا في كلِّ مرة نعودُ بها إليه، حتّى لو كان عددُ هذه المرّات لا يُحصى"[1].

"إفرَحوا معي، فَقد وَجَدتُ خَروفيَ الضَّالّ!"

في بعضِ الأحيان، يمكنُنا أن نكونَ نحنُ هؤلاءِ الرعاة، هؤلاءِ الحرّاسَ لبعضِنا البعض، فنبحثُ بمحبّةٍ عن الذين ابتعدوا عنّا، عن صداقتِنا، عن جماعتِنا؛ نبحثُ عن المهمَّشين، عن الضالّين، عن الصغار الذين دفعَتْهم مِحَنُ الحياة إلى هامشِ مجتمعِنا.

تروي لنا إحدى المعلّمات: "بعضُ التلاميذ كانوا يحضرون الدروس بشكلٍ متقطّع. فخلال ساعات الفراغ من التدريس، كنتُ أذهب إلى السوقِ القريبِ من المدرسة آمِلةً أن ألتقي بهم، لأنّني علمتُ أنّهم يعملون هناك لكسبِ بعض المال. في أحدِ الأيّام، رأيتُهم أخيرًا. تفاجأوا بأنّني ذهبتُ للبحث عنهم شخصيًّا، وتأثّروا بمدى أهمّيّتهم بالنسبة إلى جماعتِنا المدرسيّة كلِّها. وهكذا استأنفوا المجيءَ إلى المدرسة بانتظام، وشكّل ذلك حقًّا فرحةً وعيدًا للجميع".

إعداد باتريسيا ماتزولا ولجنة كلمة الحياة

[1] كيارا لوبيك، كلمة حياة شهر أيلول/ سبتمبر 1986.